خطبة صلاة الجمعة 30/ 7/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(احفظ الله يحفظك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثالثة والعشرون في سلسلة عنوانها **(توعية)**، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **احفظ الله يحفظك**

وجدت نصوص الشريعة في القرآن والسنة تؤكد مراراً أن الجزاء من جنس العمل، فمن يسر على العباد يسر الله عليه، ومن رفق بهم رفق الله به، ومن ستر عبداً ستره الله، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم، والذين زاغوا أزاغ الله قلوبهم، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، والراحمون يرحمهم الرحمن، وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم، فاذكروني أذكركم، إن تنصروا الله ينصركم.

ومن جملة ما يدل صراحةً على أن الجزاء من جنس العمل قول النبي صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه الإمام الترمذي – : «**احفظ الله يَحفظْك، احفظ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تعَرَّف إلى الله في الرَّخاء يعْرِفْكَ في الشدة**».

فمن حفظ أوامر الله حفظ الله أمره، ومن ترك أمر الله تركه الله وشأنه في يوم هو أحوج ما يكون فيه إلى عون الله تعالى.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

في سورة يوسف حديث طويل عن البلايا التي تعرّض لها سيدنا يوسف عليه السلام من كيد إخوته وكيد امرأة العزيز، ومن فقده لوالده وفقد والده له، ومن إلقائه في ظلمة البئر ورميه في ظلمة السجن، ومن بيعه بيع العبيد والإماء وتعرضه لفتنة النساء، وفي كل ذلك كان سيدنا يوسف عليه السلام حافظاً أمر الله تعالى فكانت عاقبته في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64] فمع فقدان يوسف وضياعِه عن كل من يحفظه في الأرض حفظه من في السماء.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

حفظ الله تعالى لعبده أن يحفظ له مصالح دنياه ومصالح آخرته، فحفظ مصالح الدنيا أن يحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، وحفظ مصالح آخرته أن يحفظه من الشبهات المضلة، والشهوات المحرمة، وأن يحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر.

وعكس هذا أن رجلاً رأى شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضيع الله في صغره، فضيعه الله في كبره.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

الحفظ في اللغة مراعاة الشيء وتعاهده، وعدم نسيانه، وقد دعا القرآن المؤمنين لحفظ أمور أربعة، بأن يتعاهدوها ويحفظوها ولا ينسوها، فمن حفظها حفظه الله. ومن ضيعها ضيعه الله

دعاهم لحفظ حدود الله وحفظ الصلاة وحفظ الفروج وحفظ الأيمان.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك. أي احفظ هذه الأربعة.

أولًا: حفظ حدود الله:

قال تعالى في بيان صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112] والحافظون لحدود الله معناه الذين لا يضيّعون شيئًا ألزمهم الله العمل به، ولا يرتكبون شيئًا نهاهم عن ارتكابه. فحدود الله تشمل جميع التكاليف الشرعيّة من أوامر ونواهٍ، وعباداتٍ ومعاملاتٍ. وحفظها بامتثال المأمور واجتناب المنهيّ، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله تعالى في سورة ق: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 32، 33].

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

ثانيًا: حفظ الصلاة:

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238] وامتدح المؤمنين بالمحافظة على الصلاة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9] وتوعّد الله عز وجل مضيّعها؛ فقال ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] والغيّ وادٍ في جهنم، وقيل: غيًّا: هلاكًا، وقيل: يلقون غيًّا، أي: يلقون جزاء غيّهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من حافظ عليها كانتْ له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ**» رواه أحمد.

فالصلاة معظّمٌ قدرها، وظاهرٌ خطرها، ومعلومٌ منزلتها؛ فهي عماد الدين، وأوّل ما يحاسب عليه المرء من الأعمال، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

ثالثاً: حفظ الفرج:

قال تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30] وإنما بدأ بغض البصر وأتبعه بحفظ الفرج لأن الحوادث كلها مبدؤها النظر، فمن أراد أن يحفظ الفرج من الزنى فليحفظ العين من النظر إلى العورات. فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من حفظ ما بين لحييه، وما بين رجليه، دخل الجنة**» [مسند البزار].

ثم أمرت الآيات النساء بكفّ ما يمكن أن يحدث به التأثير على الرجال؛ كاتّخاذ الزينة، والتبرّج، والسفور ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 31]، فليحفظ امرؤ فرجه وعينه ولتزد النساء على ذلك بحفظ مفاتنهن عن الرجال.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

رابعاً: حفظ الأيمان:

قال تعالى ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]. ومن حفظ اليمين الإقلال منها، وعدم بذلها لكلّ أمرٍ، وقد ذمّ الله عز وجل كثرة الحلف في قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم: 10].

ومن حفظ اليمين ألا يحلف على إثمٍ، أو قطيعة رحم.

ومن حفظ اليمين عدم تعمّد الأيمان الكاذبة، وهي اليمين الغموس. قال تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 95].

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**» [البخاري].

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

أيها الإخوة:

هذه أربعة وجدت القرآن يأمرنا بحفظها ليحفظنا الله في شدتنا وكربنا: حفظ حدود الله والصلاة والفروج والأيمان.

كلما طغى الخطب واشتد الخناق وزادت حلكة الليل ازدادت حاجة العبد لمولاه، ولما كانت سنة الله في خلقه بأن الجزاء من جنس العمل، فليحفظ من أراد حفظ الله حدود الله، وليعلي من أراد علو أمره أمر الله، وليُسلم من أراد السلامة وجهه لله.

فإذا كنت في شدة أو راحة، في عسر أو يسر؛ احفظ الله يحفظك.

والحمد لله رب العالمين